

الوافي في الوفيات

فلما جاء قبحق وحدثه كان والدي حاضراً قال : فقال له : السلطان يسلم عليك ويقول لك : قد حصل القصد بإلقاء السمعة والمهابة وما بقي للتتار حركة وأنا قد بعثني أرد العساكر المصرية من حلب والأمير يرجع إلى دمشق فقال له قبحق : لما قال لك السلطان هذا كان منكودمر حاضراً عنده ؟ فقال له : وإلا فأين يغيب ذاك ؟ قال والدي : ففهمت بها خيانة ابن حمدان .

ثم إن ابن حمدان قطع الكلام وقال : يا خوند أنا جيعان وقد اشتهيت عليك كركي يشوى لي فقال : هنا كركي مشوي هاتوه فجابوه وأنا قاعد فلما جاء قال ابن حمدان : لا يقطع لي أحد أنا أقطع لنفسي . ثم إنه أخرج سيخاً كان معه وجعل يقطع برأسه ويأكل ثم قطع ذلك السيخ وقدمه لقبحق وقال له : أنا قد قطعت لك وأنت إن اشتهيت تأكل وإن اشتهيت لا تأكل ففهم قبحق أنه قد سم له ما قطعه له وغضب وأريد وجهه واسود وظهر عليه ما لا يخفى من الأذى ثم قال : أنا ما آل شيئاً . قال والدي : ففقت من عنده وشرع قبحق في ما هم به .

قال : ثم سافر ابن حمدان إلى جهة حلب وكان من الأمراء الذين بها ما كان وركب بكتمر السلحدار والبكي نائب صفد عائدين إلى حمص حتى أتيا قبحق وشكيا إليه ما أريد بهما بحلب فشكا هو إليهما ما أريد به بحمص وأجمعوا على الرأي وأراد قبحق تحليف الأمراء له وطلب شهاب الدين ابن غانم ليتولى ذلك له فعمل نسخة بالتحليف فلما حضر ليحلف قال أمراء الشام : أين كاتب السر ؟ فقال : هو بعث هذا . فقال الطواشي... وكان رأس الميمنة وكبير الأمراء والملك الأوحى ابن الزاهر ما نحلف إلا إن حلفنا كاتب السر فإنه أخبر بالعادة .

قال والدي : فطلبت وأعطيت نسخة التحليف فوجدتها مجردة لقبحق فقلت : ما جرت بهذا عادة ثم أخذت القلم وأضفت فيها اسم السلطان ولزوم طاعته وجماعته فحلفوا على هذا وتنكر لي قبحق .

قال : فلما رأى قبحق أن الأمر ما يتم له لاختلاف أمراء الشام عليه أعمل الرأي في الهرب . قال : حكى لي الفرسي الحاجب قال : جئت إلى قبحق في الليلة التي أراد فيها الركوب للهرب وأخذت في لومه وعذله وقلت له : يا خوند بعد الحج إلى بيت الله الحرام وقطع هذا العمر في الإسلام وأمير علي تروح إلى بلاد العدو ؟ ! .

فقال : يا حاج أنا كنت أعتقد أن لك عقلاً الروح ما يعدلها شيء وأما الإسلام فأنا مسلم أينما كنت ولو كنت في قبرص وأما الحج فكل سنة يحج من الشرق قدر ما يحج نمم عندكم مرات وأما أمير علي فأني امرأة بصقت فيها جاء منها أمير علي وأمير إبراهيم وأمير خليل .

ثم قال : هاتوا ما نأكل فجاءوه بزبدية خشب فيها لحم يخني فأخذ منه قطعة وحطها على قباء كنجي زيتي عليه وشرع يقطع منها ويأكل ويغني بالتتري يريني أنه قد دخل في زي التتار وعيشهم ثم هرب وأمسك نائب حمص معه فقال : يا خوند أي شيء هو ذنبي ؟ فقال : مالك ذنب وإنما أخذتك معي حتى يتفرق هؤلاء الحيال عن جند حمص .

ثم إنه أطلقه بعد ذلك . وبعد هربه بيومين جاءت الأخبار بقتل لاجين وذبح منكودمر فجهر إليه البريدي الواصل بهذا الخبر وهو علاء الدين الديبسي فلحقه وأخبره فما صدقه وهم بقتله ثم تركه ورده واستمر قبجق حتى وصل إلى أردو السلطان محمود غازان فقبل وفادته ولم يجد لديه طائل إكرام .

وحكى لي شرف الدين راشد كاتب بكتمر السلحدار قال : إن غازان رتب له رابثاً لا يليق بمثله ثم إن غازان حشد للصيد وجمع حلقة ما رؤي مثلها وضمت ما لا يحصى من الوحش وقال لأمرائه : حتى نبصر هؤلاء إن كانوا أقجية أم لا . وكان يظن أنه فضهم .

ثم قالوا لقبجق : يا قبجق نحن شباعي الصيد وإنما هذا عملناه ضيافة لكم . فنزل قبجق وضرب له الجوك ثم قال : بسعادة القان نتصيد فعبرت بهم حمر وحشية فأمره غازان بالرمي عليها فقال له قبجق : ايش يشتهي القان يأكل لحمه من هذه الحمير ؟ فقال له : هذا وهذا وأشار إلى اثنين منها أو ثلاثة أو أكثر والشك مني لا ممن حدثني .

فساق قبجق وصهر له عليها أحدهما أخذ على يمينها والآخر أخذ على يسارها واتفقا على الرمي على مكان منها حاذياهما ورميا عليها فلم يخطئا المكان حتى تلاقى نشابهما وتقاصف وهكذا في كل رما ياهم